

السياسة البريطانية من وجهة نظر اللورد كيرزن

تجاه منطقة الخليج العربي ١٩٠٣

الأستاذ المساعد الدكتور فواز مطر نصيف
قسم التاريخ / كلية التربية – جامعة الانبار

المقدمة

تهدف الدراسة إلى توضيح سياسة الحكومة البريطانية ممثلة بنائب الملك والحاكم العام للهند اللورد كيرزن تجاه منطقة الخليج العربي في نهاية عام ١٩٠٣، تلك السياسة التي كانت تهدف إلى منع روسيا من خلق قاعدة بحرية لها في الخليج العربي، تكون نهاية لخط حديدي من روسيا عبر إيران مما يشكل تهديداً للسيادة البريطانية في المنطقة.

ويبدو أن السبب الجوهرى الذي دفع اللورد كيرزن للقيام بجولته المشهورة في منطقة الخليج العربي في نهاية عام ١٩٠٣، دخول عدد من السفن الحربية الروسية إلى الخليج العربي، سيما إذا ما عرفنا أن اللورد كيرزن كان يمثل واحداً من أشد الساسة البريطانيين حماسة في التصدي للنفوذ الروسي، ومنع إطلالته على الخليج العربي وتعريض السيادة البريطانية في الهند للخطر.

إعتمدت الدراسة على عدد من الكتب الوثائقية المهمة التي تتعلق بالتطورات الحاصلة في منطقة الخليج العربي، ولعل أبرزها (دليل الخليج العربي) لمؤلفه ج. ج. لوريمر وهو أحد الساسة البريطانيين المختصين بشؤون الخليج العربي، والذي شغل مناصب حساسة في المنطقة، فامتاز الكتاب بأنه موسوعة شاملة ليس للخليج العربي بحدوده الجغرافية فحسب، بل تجاوزه إلى الأقطار المجاورة، لا يمكن أن يستغني عنه أي باحث أو دارس لمنطقة الخليج العربي.

وكتابي (فارس والمشكلة الفارسية عام ١٨٩٢)، (وروسيا في آسيا الوسطى ١٨٩٩ والمسألة الانكلو - روسية) لمؤلفهما صاحب هذه الرحلة في منطقة الخليج العربي اللورد كيرزن، اللذان يحتويان على معلومات غزيرة توضح أهداف السياسة البريطانية، وموقفها من النشاطات الروسية في إيران ومنطقة الخليج العربي وكيفية المحافظة على الإمبراطورية في الهند. ومن الكتب الوثائقية الأخرى التي رفدت الدراسة لما وفرته من معلومات وثائقية مهمة، التقارير الإدارية للمقيم البريطاني في الخليج العربي للأعوام ١٩٠٠ - ١٩٠٤، وهي عبارة سجلات يومية للمقيم يدون فيها الأحداث التي تحصل في منطقة الخليج العربي أولاً بأول.

وثائق أرشيف الدولة المركزى للأسطول البحرى الحربى الروسى، التي دونها قباطنة وبحارة السفن الروسية التي زارت الخليج العربي خلال الأعوام ١٩٠٠ - ١٩٠٣، والتي قام بنشرها ي. ريزفان في الكتاب الذي عنوانه، سفن روسية في الخليج كما وردت من قبلهم وطبقاً للأصل.

وفي الهوامش وقائمة المصادر عدد آخر من المصادر التي رفدت الدراسة.

كان اللورد كيرزن Lord Curzon يلج على الحكومة البريطانية منذ عام ١٨٨٩، لإحكام سيطرتها على الخليج العربي ، وكبح جماح خطط روسيا التي تبحث منذ مدة للوصول إلى المياه الدافئة وان عينها ترنو إلى الخليج العربي (١) ، لتطوير روسيا وجعلها في مصاف الدول الكبرى (٢) ، يتضح ذلك من خلال الوصية التي نسبت إلى بطرس الكبير Peter the Great (١٦٨٩- ١٧٢٥) البعيدة المدى ، الذي كان يدرك حاجة بلاده إلى فتح نافذة بحرية تطل على المياه الدافئة ، ومما يؤشر على طموحاته مضمون وصيته التي انتشرت في القرن التاسع عشر ، التي تؤكد على ضرورة توجه روسيا نحو الهند ومنطقة الخليج العربي ، ففي الفقرة التاسعة من وصيته الشهيرة التي نسبت إليه ، بغض النظر عن صحتها أو عدم صحتها ، لكنها أثرت تأثيراً كبيراً في الرأي العام البريطاني حينذاك ، ومما جاء في بعضاً منها (سيطروا على إيران للانسلال تجاه الخليج العربي ، وتقدموا باتجاه الهند التي هي مخزناً للعالم ، فإذا ما وصلنا إليها فلن نكون بحاجة إلى ذهب انكلترا أبداً) (٣) .

لقد كان فزع بريطانيا من روسيا يشتد كلما اقتربت سكك الحديد الروسية في تركستان باتجاه الهند ، وان منظومة السكك الحديدية الروسية التي انتهت تقريباً عام ١٨٧٢ بالقرب من تفليس (٤) ، ويمكن لها أن ترتبط بريشت على الحدود الإيرانية الروسية ، وان هذه المنظومة يخطط لها في وقت لاحق أن تتوسع لتصل البحر الأسود بالخليج العربي (٥) ، لقد بذلت روسيا ما في وسعها لانجاز سلسلة من الخطوط الحديدية في إيران وأفغانستان لإيقاف تجارة آسيا الوسطى (٦) مع الهند ، وان تكسب لنفسها السيطرة على حدود هذه البلاد ، وإذا ما أنجزت روسيا سكة حديد القفقاس ، فإنها تكون قد اختصرت الوقت إلى يوم واحد بوساطة السكك الحديدية بدلاً من الستة والعشرون يوماً مشياً على الأقدام ، لقطع المسافة من البحر الأسود إلى بحر قزوين ، ويصبح بمقدورها أن تؤمن نقل الوحدات العسكرية من اوديسا على البحر الأسود إلى عشق آباد في اقل من اثنا عشر يوماً، وبهذه الطريقة فان روسيا بعد انجازها سكة حديد القفقاس ، ستصبح قادرة على إرسال قوات عسكرية إلى أطراف ممتلكاتها في آسيا الوسطى (٧) في اقل من أسبوعين ، بينما مازال إرسال القوات العسكرية من بريطانيا للدفاع عن الهند ، يستغرق مايقارب الشهر، ومع الأخذ بعين الاعتبار أن عشق آباد تقع على مسافة مائتي ميل من هرات (٨) ، مما يجعل- بحسب ما أشار إليه اندرو Andrew المهندس المختص بالسكك الحديدية في الهند - (اللعبة في الشرق بيد روسيا وبدرجة كبيرة) (٩) .

وان تغلغل روسيا في شمال إيران وخراسان ما هو إلا مرحلة أولى للتوجه جنوباً باتجاه الخليج العربي والهند ، وأشار كيرزن بهذا الصدد (هل نبقي ننتظر حتى نرى أعدائنا يصلون إلى ميناء كراجي في أيام معدودات ، ومن ثم تسقط بومباي بوساطة أسطول معادي؟)^(١).
لقد تم تعيين اللورد كيرزن في عام ١٨٩٩ نائباً للملك وحاكماً عاماً للهند ، إذ استمر في المنصبين حتى مدة متأخرة من عام ١٩٠٥ ، باستثناء مدة انقطاع دامت بضعة أشهر عام ١٩٠٤^(١) ، وعندما عين نائباً للملك في الهند ، أصبح خبير في شؤون الخليج العربي ، وقد زار إيران ودرس مشكلة الخليج العربي دراسة متعمقة حتى عرفها حق المعرفة ، وكان يمتلك شخصية قوية يواجه بها المشكلات بالتحدي ويجابها بإجراءات سريعة حازمة ، صدر له كتاب بعنوان إيران والمشكلة الإيرانية Persia and the Persian Question عام ١٨٩٢ وضح آراءه في موضوع الخليج العربي ملخصاً إياه بالشكل التالي : (أن بريطانيا تدعي لنفسها في مقابل التضحيات التي قدمتها ، ورأس المال الذي أنفقته ، ومن أجل السلام الذي تقوم بحمايته بأن لا تسمح لنفوذ سياسي معادٍ لها بأن يظهر قسماً وجهه الكريه هناك ، أن ميناء روسي في الخليج العربي ذلك الحلم العزيز لكثير من الوطنيين من سكان حوض النيفا والفلغا ، لا شك يستطيع أن يجلب إلى هذه المنطقة حتى في مدة السلم عنصراً من الاضطراب ، يؤدي إلى إخلال التوازن الدقيق الذي قام على جهود مضنية ، كما انه يؤدي إلى تدمير تجارة تقدر بمئات الملايين من الجنيهات ، كما انه سيترك الحبل على الغارب للقوميات المتنازعة لتطبق كل على رقبة الأخرى ، وإنني أرى أن أي امتياز تحصل عليه روسيا في أي من دول الخليج لتقيم ميناء عليه ، إهانة مقصودة لبريطانيا العظمى وإخلالاً طائشاً بحالة الأمر الواقع ، وتحريضاً صارخاً لقيام حرب دولية ، وكذلك فاني اتهم أي وزير بريطاني الذي يستسلم لذلك ويرضخ ، انه خائن ومذنب لوطنه)^(٢) .

ويبدو أن السبب الرئيس الذي دفع اللورد كيرزن إلى زيارة موانئ الخليج العربي ، هو دخول عدد من السفن الروسية إلى مياه الخليج العربي ، سيما إذا ما عرفنا أن اللورد كيرزن كان من أشد المناهضين لسياسة امتداد النشاط الروسي إلى تلك الربوع .

لقد كانت رحلة الطراد الحربي الروسي جيلياك Gilyak الذي وصل إلى بندر عباس في الرابع عشر من شباط عام ١٩٠٠ ، هي بداية لما يمكن تسميتها بسلسلة من المناورات البحرية الروسية التي تستهدف أهدافاً سياسية ، فروسيا لم يكن لها مصالح مباشرة في منطقة الخليج العربي ، فضلاً عن ذلك أن الخليج العربي لا يقع في طريق سفنها البحرية المتجهة إلى الشرق الأقصى^(٣) ، وكان هدف إرسال الطراد الحربي الروسي جيلياك إلى الخليج العربي ، هو ليبين للبريطانيين وللسلطات المحلية على حد سواء ، من خلال نشر العلم الروسي في الخليج العربي ، أن روسيا تعد مياهه سهلة المنال أمام ملاحه سفن جميع الأمم ، وذلك على النقيض من سعي الحكومة البريطانية لتحويل الخليج العربي إلى بحر مغلق يقع في دائرة نفوذها فقط^(٤) .

وقد زارت السفينة كورنيلوف Korniloff التابعة للشركة الروسية للملاحة البخارية التجارية ، العاملة مابين اوديسا على البحر الأسود إلى الخليج العربي ، ميناء بوشهر في الحادي والعشرون من آذار عام ١٩٠١ ، وكانت حمولة السفينة تتألف من مايقارب ألف طن من البضائع المختلفة ، إلى

جانب المسافرين الى أوربا^(٥)، وفي بوشهر التقى بها الأمير دابيجا Prince Dabija القنصل الروسي العام في أصفهان الذي جاء خصيصاً لزيارة هذه السفينة^(٦).
مما يوحي إلى الأهمية الكبيرة التي توليها الحكومة الروسية لسفنها العاملة في منطقة الخليج العربي .

وأبحرت السفينة كورنيلوف للمرة الثانية من ميناء أوديسا فوصلت مسقط في الرابع من تشرين الثاني عام ١٩٠١، ثم رست في بندر عباس ولنجة وبوشهر والمحمرة ، وكانت السفينة تحمل ستة مسافرين فضلاً عن حمولتها التي بلغت ١٦٥٠ طناً من البضائع المختلفة ، لكن التجارة بشكل عام لهذا الخط الجديد كانت محدودة وقاصرة على فصول معينة من العام^(٧) .
أما المناورة الأخرى في الخليج العربي فقد قامت بها المدمرة الروسية فارياج ، Varyag التي وصلت مسقط في العاشر من كانون الأول عام ١٩٠١ ، وتبادل ضباطها الزيارات مع سلطان مسقط ، ثم زارت بوشهر ولنجة وبندر عباس^(٨)، وارتفع العلم الروسي في منطقة الخليج العربي مرة أخرى ، على سارية المدمرة الروسية اسكولد Askold ، التي وصلت مسقط في الثالث من كانون الأول عام ١٩٠٢، وكان اداموف Adamoff القنصل الروسي في البصرة على ظهر المدمرة خلال قسم من جولتها ، وقد زارت الكويت ولنجة وبندر عباس ، وقام الطراد الروسي المسلح بويارين Boyarin بزيارة مسقط في الثالث والعشرون من شباط عام ١٩٠٣، وقابل قائد الطراد سلطان مسقط ، وفي اليوم التالي غادر الطراد مسقط إلى بوشهر والكويت ولنجة^(٩) .
وبعد أن حصل اللورد كيرزن على موافقة الحكومة البريطانية ، على زيارته لمنطقة الخليج العربي (كما ذكر سابقاً) ، غادر الهند إلى مسقط .

رحلة اللورد كيرزن إلى مسقط

أقلعت السفينة هاردينك Hardinge من سفن البحرية الملكية الهندية بنائب الملك والحاكم العام للهند اللورد كيرزن ، من ميناء كراجي في السادس عشر من تشرين الثاني عام ١٩٠٣ ، واستعداداً لهذه الرحلة عزز أسطول الهند الذي كان يقوده نائب أمير البحر أتكينسون-ويلز Atkinson-Wills ، بالسفينة اركونوت Argonaut من سفن الأسطول الملكي البريطاني ، وهي سفينة من الدرجة الأولى حمولتها إحدى عشر ألف طن ، وقد وقفت عند مدخل ميناء كراجي استعداداً لمرافقة الرحلة ، وحينما وصلت السفينة هاردينك اسطفت السفن في خطوط مقسمة طولياً ، فكان الجانب الأيمن يتكون من البارجة هيسنث Hyacinth والسفينة فوكس Fox ، وكان الجانب الأيسر يتكون من السفينة اركونوت يتبعها الطراد بومون Pomone ليصل عدد سفن الأسطول خمساً، واتجه خط سيره إلى مسقط مباشرة ، إذ كانت السفينة لورنس Lawrence من البحرية الملكية الهندية وعليها العميد كامبل Colonel Kembell المقيم السياسي البريطاني في الخليج

العربي (٢٠) ، والقطعة لابونك Lapwing ، قد رستا هناك من قبل لوضع الترتيبات اللازمة لاستقبال اللورد كيرزن ، وحينما دخل اسطول اللورد كيرزن في ميناء مسقط في صباح الثامن عشر من تشرين الثاني عام ١٩٠٣ ، صعد وفد سلطان مسقط إلى ظهر السفينة هاردينك لمقابلة اللورد كيرزن نيابة عن السلطان (٢١) ، وكان على رأسه محمد بن تركي اكبر إخوة السلطان فيصل بن تركي ، وتيمور اكبر أبناء السلطان وقائد القوات البرية وحاكم مطرح ، وألقى احد رجال الوفد قصيدة بال صحته ومهنئاً بسلامة الوصول ، في حين أطلقت المدافع ثلاث عشرة طلقة تحية لهم (٢٢) .

زيارة السلطان للورد كيرزن

وعند وصول الوفد إلى الساحل توجه سلطان مسقط فيصل بن تركي إلى السفينة هاردينك لزيارة اللورد كيرزن ، كان يرافقه حاشيته والرائد كوكس Major Cox المعتمد السياسي البريطاني في مسقط ، وبعد قيامه بجولة بالطراد على كامل الأسطول وتلقيه الترحيب من بحارة سفن اللورد كيرزن ، استقبل على ظهر السفينة هاردينك ثم وصل إلى مكان اللورد كيرزن على مؤخرة السفينة ، إذ توجد غرفة استقبال مناسبة ، وبعد تبادل التحيات جرى حديث قصير ثم قدم أفراد الحاشية كل على حدة إلى اللورد كيرزن ، بعدها غادر السلطان المكان مودعاً بإحدى وعشرون طلقة (٢٣) . وفي السياق نفسه حضر لارونس Laronce نائب القنصل الفرنسي (٢٤) ، وماكردي Mackirdy نائب القنصل الأمريكي (٢٥) في مسقط على ظهر السفينة هاردينك ليقدا احترامهما إلى اللورد كيرزن إذ استقبل كل واحد على حدة ، وعند مغادرتهم تلقى منهما التحية المناسبة لرتبته (٢٦) . غادر اللورد كيرزن بعد الظهر في اليوم نفسه السفينة هاردينك إلى المعتمدة البريطانية في مسقط .

زيارة اللورد كيرزن للمعتمدة البريطانية

توجه اللورد كيرزن إلى المعتمدة البريطانية في مسقط ، إذ أقام له المعتمد السياسي البريطاني حفلة غداء ، وبعدها حضر وفد من رعايا بريطانيا ومحبياتها الذين يقيمون في سلطنة عمان ، وقد احضروا معهم خطاباً قرأه بالانكليزية بارشوتام دهانجي P.Dhanji عضو شركة من التجار الهنود في مسقط وجاء في الخطاب : (نتقدم ببالغ الاحترام نيابة عن أنفسنا وعن مواطنينا المقيمين في مسقط ومطرح لفخامتكم ، ترحيبنا القلبي بمناسبة زيارتكم لمسقط ، ونزيد على ذلك بتهنئة فخامتكم بكل احترام على أنكم أول نائب للملك وحاكم عام للهند ، منذ أن انتقلت أقدار القارة الهندية إلى التاج

البريطاني^(٢٧) يزور هذه السواحل البعيدة ، مفتتحاً بذلك تحولاً سياسياً جدياً وقوياً في دائرة تشمل مصالح هندية متعددة ...^(٢٨) .

وقد رد اللورد كيرزن بالكلمات التالية : (أيها السادة تلقيت بسرور بالغ خطابكم المخلص الذي قرئ قبل قليل ، أما فيما يتعلق بعبور البحر من الهند إلى سواحل بلد آخر ، فيسرني إنني وجدت جالية كبيرة ناجحة من رعايا جلالة الملك الإمبراطور ، جاءوا إلى هنا للتجارة في أحوال آمنة ، وقد قمت بمحاولة التحقق من رعايا الهند البريطانية المقيمين هنا في مسقط وموانئ عمان الأخرى ، فوجدت أنهم يبلغون على الأقل ١٣٠٠ شخص معظمهم جاء أصلاً أو مجدداً من سواحل السند وكيثوار Kathiawar ... المقابلة ... فان هذه الحقائق كافية لتوضيح الارتباطات التجارية المتينة ، التي نمت خلال القرن الماضي بين مسقط والهند ، وتترك الإنسان دون دهشة أمام التفوق التجاري البريطاني ، في البضائع والشحن والخدمات الأخرى ... أن الضمان السياسي لدولة في دولة أخرى يقاس أحياناً بمصالحها التجارية في تلك الدولة ... وسأتناول مثلاً المدة التي عملت فيها مع حكومة الهند وتحديداً الأعوام الخمسة الأخيرة ، فعندما وجدت خلال هذه المدة نسبة التجارة البريطانية مع مسقط قد بلغت ٨٤ بالمائة ، وان نسبة المراكب البريطانية إلى المجموع النهائي للمراكب ، التي دخلت وأفرغت حمولتها في هذه البلاد في المدة نفسها بلغ ٩٧ بالمائة في كل عام اقتنعت عندها بان نفوذ بريطانيا في المصالح التجارية لهذا البلد بلغ مستوى عالياً لا يقبل الجدل ... ويسعدني أن اسمع منكم أن المعتمدين السياسيين المتعاقبين يحمون مصالحكم أثناء متابعتكم مهمتكم السلمية ...^(٢٩) . كانت الفقرة التالية من برنامج الرحلة أن يزور اللورد كيرزن السلطان ، رداً على زيارته له على ظهر السفينة هاردينك .

زيارة اللورد كيرزن للسلطان

غادر اللورد كيرزن المعتمدة البريطانية في قارب المعتمدة متوجهاً إلى قصر سلطان مسقط ، إذ استقبله هناك السلطان بنفسه ، وكان في استقباله أيضاً ثلاثون من حرس شرف البحرية البريطانية ومعهم فرقة موسيقية ، وسار اللورد كيرزن ومرافقوه على الأقدام طوال الطريق ، يتقدمهم السلطان بشخصه ومعه حاشيته حتى وصلوا إلى قاعة الاجتماعات في قصر السلطان ، وهي غرفة مستطيلة تشرف على البحر ويوجد في احد أطرافها منصة مرتفعة ، أخذت الشخصيتان البارزتان مجلسيهما عليها ، واخذ المرافقون والحاشية مجالسهم على جوانبها ، ومن طرف القاعة البعيدة ووسطها جلس مايقارب ٧٠ أو ٨٠ من الشيوخ وممثلي الأجزاء الداخلية من البلاد ، الذين استدعوا إلى مسقط لهذه المناسبة^(٣٠) . وقد زينت جدران القاعة الملونة بكتابات انكليزية بخط كبير ، تعبر عن الصداقة للتاج البريطاني ، وبعد تبادل التحيات الرسمية تقدم الأعضاء المحليون في الاجتماع وقدمهم المعتمد السياسي البريطاني إلى اللورد كيرزن ، وبعد ذلك قرأ خطاب ترحيب

بالعربية نيابة عن السلطان ، ورد عليه اللورد كيرزن بحرارة ، وفي نهاية الاحتفال وصل السلطان و اللورد كيرزن إلى رصيف الميناء ، وعاد اللورد كيرزن إلى ظهر السفينة هاردينك بعد الظهر^(٣١) . بعد ذلك وصلت السفينة سفينكس Sphinx من سفن الأسطول الملكي البريطاني إلى مسقط ، وعليها آرثر هاردينك Arthur Hardinge وزير الحكومة البريطانية المفوض في إيران ، الذي قدم للتشاور مع اللورد كيرزن قبل وصول الأخير إلى الساحل الإيراني ، وبهذه السفينة أصبح عدد قطع الأسطول الملكي التي ترسو في الميناء ثمان ، ويمكن القول انه على مر الزمن لم يرفع أسطول لدولة بمفردها أعلام ، على ميناء مسقط أقوى من هذا الأسطول^(٣٢) .

حفلة الاستقبال على السفينة اركونوت

أقيم في التاسع عشر من تشرين الثاني عام ١٩٠٣ مهرجان كبير على ظهر السفينة اركونوت ، وقدم المعتمد السياسي البريطاني كوكس وجهاء العرب الرئيسيين إلى اللورد كيرزن ، وقرأ الشيخ راشد بن عزيز حاكم إقليم سمائل Simail في عمان ، كلمة نيابة عن السلطان ، جاء فيها بعد أن قرأ عبارات الترحيب باللورد كيرزن وحاشيته في زيارتهم لعمان : (لقد مضى الآن أكثر من قرن منذ أن دخل أجدادي لأول مرة في علاقات ومعاهدات مع الحكومة البريطانية ، التي أصبح مقيم بريطاني^(٣٣)) يمثلها في إقليمنا ، وكانت مسقط قبل ذلك بمدة طويلة تتعامل مع التجارة البريطانية ، عن طريق الاتجار مع الموانئ الهندية ، وكان حكام عمان خلال تلك الأعوام على أوثق علاقات الصداقة والمودة مع بريطانيا ...)^(٣٤) .

وبعد أن ترجم المعتمد السياسي البريطاني هذا الخطاب وقف اللورد كيرزن ورد عليه بالكلمات التالية (صاحب العظمة أصحاب الفخامة لقد خاطبني سيادتكم بالأمس بعبارات من الترحيب الحار لزيارتي دولته وعاصمته ، وفي هذا اليوم جاء خطابكم بعفوية واضحة ... وتكلمتم فيه بالعاطفة المنبعثة من لغة التاريخ ، الذي يربط الحكومة البريطانية بدولة عمان ، يا أصحاب السيادة أنهم أجدادك العظماء ، الذين عقدوا أول اتفاقية مع شركة الهند الشرقية منذ مائة وخمسة أعوام^(٣٥)) ، وقد ذكرني ذلك قول سيادتكم انه مضى أكثر من قرن على إقامة ممثل بريطاني في مسقط ، ولذلك فلا عجب إذا شعرت حكومة الهند انه من واجبها توجيه اهتمام خاص باتجاه هذا البلد ، أو شعر نائب الملك في الهند برغبة في زيارته والتعرف على حاكمه^(٣٦)) ، وان الذي زاد من اغتباطي بهذه الزيارة سماعي من شفقتي سيادتكم ، أنكم وأبناءكم ستبقون إلى الأبد تراعون الالتزامات القوية القديمة ، وستبقون مخلصين لها ، إنني سأعترف بهذه الكلمات التي ستظل ماثلة في صداقتنا ليس لديّ فحسب ، بل لدى الحكومة التي أمثلها ، وقد زاد في رضائي ايضاً قبول سيادتكم منذ عامين مد خط تلغرافي من جاسك إلى مسقط ، مما جعل عاصمتكم أكثر اتصالاً بالعالم الخارجي ، وقد اخترت أنا بنفسني الرائد كوكس الذي يتمتع بثقتي التامة كمواطن يمتاز بالمقدرة والحصافة ، ليمثل حكومة الهند في عاصمتكم ، وقد أكدتم لي أنكم وجدتم فيه مسبشراً فطناً وصديقاً ، وبقي عليّ أن أعلن امراً ساراً لم أتسلم موافقة صاحب الجلالة الملك الإمبراطور السامية عليه سوى أمس ، وهو الإنعام على فخامتكم

بالشرف الرفيع ، وسام الصليب الأعظم .^{٣٧} للإمبراطورية الهندية ، راجياً أن يبقى هذا التكريم دليلاً على عواطف الصداقة المخلصة التي توليها الحكومة البريطانية لسيادتكم ()^{٣٧} .
وقد قرأ خان بهادور عبد الرحمن حكيم Khan Bahadur Abdurrahman Hakim الذي يعمل ملحاً محلياً في وزارة الخارجية الهندية ترجمة لهذه الكلمات ، وكان الخطاب يتابع بأشد اهتمام من الحضور من أهل البلاد ، وقوبلت الفقرة الأخيرة منه بفرح كبير ، اختتم الاحتفال ثم غادر السفينة اركونوت ، اللورد كيرزن والسلطان والقائد العام للأسطول بهذا الترتيب^{٣٨}) ، ثم لحق السلطان باللورد كيرزن على ظهر السفينة هارينك ، ليقابله مقابلة خاصة وليودع ضيفه الكبير .

المقابلة الخاصة بين السلطان واللورد كيرزن

حضر هذه المقابلة التي جرت في الساعة الواحدة والربع بعد الظهر من يوم التاسع عشر من تشرين الثاني عام ١٩٠٣ ، واستغرقت نصف ساعة ، كل من كامبل المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي ، وكوكس المعتمد السياسي البريطاني في مسقط ، والسيد ل. داند L. Dand سكرتير وزارة الخارجية في حكومة الهند ، وقد حاول اللورد كيرزن في هذه المقابلة إقناع السلطان فيصل ، بأنه من المستحب تعيين خبير مالي او هيئة ذات كفاءة لتدقيق حساباته ، وعدم السحب مقدماً من إيرادات الكمارك التي تكاد تكون المصدر الوحيد لدخله^{٣٩}) ، وقد اعترف السلطان بان نفقاته تفوق دخله ، وانه سيقوم بأي عمل ممكن لتحقيق رغبات اللورد كيرزن ، وكان سلوك السلطان فيصل يتميز بعزة النفس والبشاشة والمودة ، واكد للورد كيرزن انه وابنه تيمور تحت أوامر فخامته بالكامل ، ولم يغادر المكان إلا بعد أن كرر شكره للورد كيرزن على الشرف الذي أسبغه عليه بقدمه إلى مسقط ، وغادرت السفينة هاردينك مسقط بعد ظهر اليوم نفسه التاسع عشر من تشرين الثاني عام ١٩٠٣ ، تصطحبها بقية سفن الأسطول^{٤٠}) باتجاه الشارقة المكان الثاني المخصص لزيارة اللورد كيرزن ، ومن هناك بعث بتقريره عن رحلته إلى الحكومة البريطانية .

تقرير اللورد كيرزن عن رحلته إلى مسقط

جاء في الجانب السياسي من التقرير الذي قدمه اللورد كيرزن إلى الحكومة البريطانية عن رحلته إلى مسقط ما يلي ، كان السلطان فيصل بن تركي في جميع هذه المناسبات يتصرف ببساطة وعزة نفس ، وكان سلوكه يدل على التزامه الولاء للتاج البريطاني أكثر منه كسلوك ملك مستقل ، ومن الواضح انه يعتمد بدون أدنى شك على مساعدة وحماية القوة البريطانية ، واعتماده على صداقتنا واحترامه لرغباتنا ، وهو الأمر الذي لا يبشر بخير في المستقبل فحسب ، بل يعد كذلك نجاحاً كبيراً للرائد كوكس المعتمد السياسي البريطاني ، الذي عينته عام ١٨٩٩ في مسقط ، كما أن التناقض في وضع السلطان الدولي أصبح أكثر وضوحاً ، وهذا التناقض في الحالة الواقعية إذ الحاكم والشعب والتجارة تعتمد كلياً علينا ، وبين الحالة النظرية التي تتمتع فيها فرنسا التي لا يمثلها سوى قنصل ، وليس لها رعايا ولا مصالح فعلية لمعاملة مساوية لبريطانيا ، بلغ درجة تؤكد انه يستحب أن توضع نهاية سريعة لهذا الوضع الغريب الشاذ (٤١).

الاستنتاج

لقد جاءت رحلة اللورد كيرزن نائب الملك والحاكم العام للهند ، إلى منطقة الخليج العربي في عام ١٩٠٣ ، كدليل على قوة بريطانيا ونفوذها الطاعي هناك ، بعد مدة قصيرة من المنافسة الأجنبية في الخليج العربي ، وقد كانت حدثاً بارزاً لاسابق له في الخليج العربي ، وربما بقيت كحدث لا يوجد ما يوازيه في التاريخ المحلي ، ولعل ارسخ نتائجها كانت تلك المشاهدات والمناورات المشتركة ، التي قام بها اللورد كيرزن والقائد العام للأسطول فيما يتعلق بقضايا الإستراتيجية البحرية البريطانية ، أما نتائجها بالنسبة للساحل الغربي من الخليج العربي ، فيمكن القول عنها أنها موفقة وناجحة بالنسبة لمسقط ، إذ زادت في قوة الروابط السياسية لهذه الإمارة ببريطانيا ، ولم تترك بريطانيا مجالاً للشك في عزمها على إقصاء كل نفوذ أجنبي ، ماعدا نفوذها في تلك الجزيرة الإستراتيجية الهامة للمصالح البريطانية .

ومن الواضح أن اتصال اللورد كيرزن الوثيق بمنطقة الخليج العربي وخبراته الواسعة فيه ، أكد رأيه السابق في أن سيطرة بريطانيا السياسية في المنطقة ، كانت أمراً بالغ الأهمية لحياة الإمبراطورية البريطانية ، فكانت جولته مظهرة واستعراضاً للقوة البريطانية في منطقة الخليج العربي ، لانتتمكن دولة أوربية أخرى أن ترقى إلى مستواها آنذاك ، وان الرحلة بحد ذاتها جاءت رداً على إرسال روسيا منذ عام ١٩٠٠ إلى عام ١٩٠٣ عدداً من سفنها الحربية والتجارية إلى مياه الخليج العربي ، وكانت روسيا تحاول منذ مدة طويلة ، تحقيق حلمها بوصول سفنها إلى المياه الدافئة ، ولكنها لم تتمكن من تحقيق ذلك الحلم لعوامل تتعلق بظروفها الداخلية ، فضلاً عن العامل الرئيس وهو وقوف الساسة البريطانيين وعلى رأسهم اللورد كيرزن بحزم ، ضد الطموحات الروسية في الحصول على قاعدة بحرية لسفنها العاملة في الخليج العربي .

التعليقات

¹-G . N. Curzon , Russia in The Central Asia in 1889 and the Anglo – Russian Question, London 1967 , P . 377 .

² - B . H . Sumner A Short History of Russia . New York 1949 . P . 10 .

³- Quoted in : P . Sykes . A History of Persia . Vol .II. , London 1951 . p.245 .

٤ - تفليس عاصمة جورجيا .

⁵- W . P . Andrew , Euphrates Valley Route to India , London 1882 , P . 79.

٦ - آسيا الوسطى : وهي جزء من الأراضي الآسيوية الداخلة ضمن الحدود الروسية ، تشمل في الوقت الحاضر جمهوريات تركمانستان ، أوزبكستان ، طاجيكستان ، كيرغيزيا ، فتحت بين عامي ١٨٦٤ - ١٨٨٥ وضمت إلى الإمبراطورية الروسية . ينظر :

B . H .Sumner , op . cit . p . 2

٧ - كانت مراحل الاندفاع الروسي في آسيا الوسطى كالآتي :

١٨٤٢ - ١٨٤٨ وصول القوات الروسية إلى سواحل بحر أورال .

١٨٤٩ - ١٨٦٤ احتلال الروس لنهر سير داريا Syr Daria .

١٨٧٣ السيطرة على خيوة .

١٨٧٦ السيطرة على خوقند .

١٨٨٤ السيطرة على مرو . ينظر :

Notes Et Etudes Documentaries , No.1499 premiere partie , 5 juillet , Paris 1951 , P.24 .

٨ - مدينة هرات تقع في الأقسام الشمالية الغربية من أفغانستان .

9 - Quoted in : W. p . Andrew, op . cit . pp.5.7.10.

¹⁰ - Quoted in :G . N. Curzon , op . cit .p. 378 .

¹¹ - J . G . Lorimer , Gazetteer of the P. Gulf , Oman and Central Arabia Historical , Vol. I. Part I , Calcutta 1915. p. 319 .

¹² - Quoted in : G . N. Curzon , Persia and the Persian Question Vol .II . London 1892. pp. 464-465; J . G . Lorimer , op.cit, Vol . I .Part . I . . pp.319-320.

¹³-J . G . Lorimer , op.cit, Vol . I .Part . I .p p.327-328 .

١٤ - وثائق أرشيف الدولة المركزي للأسطول البحري الحربي الروسي ، أمر رئيس الأركان البحرية العامة الفريق البحري أفيلان إلى قائد الطراد الثقيل فارياغ بشأن زيارة موانئ الخليج العربي ، بتاريخ ٢٢ أيلول ١٩٠١ ، رقم ٣٠٨٥ ، الملف رقم ٤١٧ ، القائمة ١ ، الاضبارة رقم ٢٤٣٦ . ي . ريزفان ، سفن روسية في الخليج ١٨٩٩ - ١٩٠٣ ، ترجمة سليم توما ، موسكو ١٩٩٠ . ص ، ٧٧ - ٧٨ .

¹⁵ - J . G . Lorimer , op.cit, Vol . I .Part . I .p. 333 .

¹⁶ - Record of the Emirates Primary Documents ,Vol . 5 .(1892 – 1909) Edited py : Pen dope Tuson , British Library Cataloguing in Publication Data , Archive Editions

1990, C.A.Kemball Lient – Colonel , Political Resident , P.Gulf ,Bushir April 1901. p. 6.

¹⁷-J.G .Lorimer , op.cit,Vol .I .Part .I .p. 333-

¹⁸ - Ibid, p . 329.

¹⁹- Ibid .

٢٠ - دخل المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي ، منذ الثالث والعشرون من كانون الثاني عام ١٨٧٣ تحت الرئاسة المباشرة لحكومة الهند بدلا من حكومة بومباي ، وغدت حكومة لندن تتقاسم مع حكومة الهند تكاليف مقيمة بوشهر ، وزاد هذا من مسؤولية المقيم وأكد أن الخليج العربي بشقيه الغربي والشرقي ، وحدة إدارية واحدة يحكمها ملك غير متوج هو المقيم . ينظر :
عبد العزيز عبد الغني إبراهيم ، حكومة الهند البريطانية والإدارة في الخليج العربي دراسة وثائقية ، ط١ ، الرياض ١٩٨١ ، ص ، ١٧٧ .

²¹-Administration Report on the P.Gulf Political Residency and Maskat Political Agency For the Year 1903 – 1904 .W. G. Grey , Captain . His Britannic Majesty's Consul and Political Agent Maskat ,Calcutta 1904.p.11.

²² -J . G . Lorimer , op.cit, Vol .I .Part . II .pp.2627-2628.

²³ -Administration Report on the P. Gulf op.cit, p.12.

٢٤- افتتح بي اوتاوي P.Ottavi الوكالة القنصلية الفرنسية في الثامن من تشرين الثاني عام ١٨٩٤ ، وظل يتولى الأعمال بها إلى السادس من تموز عام ١٩٠١ ، وقد خلفه لارونس من السادس من تموز عام ١٩٠١ إلى الرابع عشر من آذار عام ١٩٠٣ ، ثم خلفه درفيل من الرابع عشر من آذار عام ١٩٠٣ إلى الثالث من تشرين الأول عام ١٩٠٣ ، ثم عاد لارونس من الثالث من تشرين الأول عام ١٩٠٣ إلى الثاني عشر من تموز عام ١٩٠٤ ، فخلفه بيلوك Billecocq من الثاني عشر من تموز عام ١٩٠٤ إلى الثالث عشر من تشرين الأول عام ١٩٠٥ ثم عاد لارونس في الثالث عشر من تشرين الأول عام ١٩٠٥ . ينظر :

J. G . Lorimer , op.cit, Vol .I .Part . II .p . 2692.

٢٥- عين لويس ماجوير Louis Maguire التاجر البريطاني نائب للقنصل الأمريكي في مسقط عام ١٨٨٠ ، وقد تولى المركز ماكردي تاجر بريطاني آخر ممثل شركة بريطانية . ينظر : Ibid

²⁶- Ibid .p – 2628

٢٧- أعلنت الملكة فيكتوريا Victoria في الأول من تشرين الثاني عام ١٨٥٨ ، ضم ممتلكات شركة الهند الشرقية البريطانية إلى التاج البريطاني ، والتزام الأخير بكل الارتباطات والتعهدات والمعاهدات ، التي دخلت فيها حكومة الهند السابقة في الهند . ينظر :
عبد العزيز عبد الغني إبراهيم ، المصدر السابق ، ص ، ٥٤ .

²⁸ - Quoted in :J. G . Lorimer , op.cit, Vol .I .Part . II .p . 2628.

²⁹ - Quoted in : Administration Report on the P. Gulf op.cit, pp.15 -16.

³⁰-Administration Report on the P. Gulf op.cit, pp.12-13 ; J. G . Lorimer , op.cit, Vol .I .Part . II .p . 2631 .

³¹J. G . Lorimer , op.cit, Vol .I .Part . II .p . 2631 .

³²-Administration Report on the P. Gulf op.cit, p.12.

٣٣- عين مساعد الجراح ا. هـ. بوجل A.H.Bogle مقيماً بريطانياً في مسقط عام ١٨٠٠ ، مات في الوظيفة في العام نفسه فحل محله النقيب دافيد سيتون Colonel David Seton عام ١٨٠١ إلى العام ١٨٠٩ ، ومن ثم عين الرائد بيرسي كوكس ، الذي أصبح فيما بعد الكولونيل بيرسي كوكس Sir Percy Cox من الأول من تشرين الأول عام ١٨٩٩ إلى كانون الثاني عام ١٩٠٤ . ينظر :
Lorimer , op.cit, Vol .I .Part . II

J. G . .pp.2675-2677 .

34 - Quoted in : Administration Report on the P. Gulf op.cit.p.13-14.

35 – تم عقد أول معاهدة بين بريطانيا وعمان في عام ١٧٩٨، وإنها عقدت أثناء اشتداد حملة نابليون على مصر وازدياد خطر الفرنسيين على الهند ، ينظر : زكي صالح ، مجمل تاريخ العراق الدولي في العهد العثماني ، جامعة الدول العربية ١٩٦٦، ص ، ٢٤؛
Administration Report op.cit.p. 22.

on the P. Gulf

³⁶ - Quoted in : Ibid . p .17 .

³⁷ - Quoted in Administration Report on the P. Gulf ` op.cit.pp.17-18; J. G. Lorimer , op.cit, Vol .I .Part . II .pp.2633-2634..

³⁸ - Ibid . p .13; Ibid . p .2635.

٣٩- لقد كان السلطان يعاني من ضائقة مالية ، هذا ما أشار إليه المقدم البحري الروسي ساريتشيف قبطان الطراد الروسي بويارين **Boyarin** ، الذي قام في الثالث والعشرون من شباط عام ١٩٠٣، برفقة الضباط الروس بزيارة السلطان فيصل بن تركي ، الذي أحسن وفادتهم وكذلك فعل شقيقه ونجله ولي العهد ، وأشار ساريتشيف في تقريره إلى الحالة المتواضعة للقصر ومصاعب السلطان المالية ، الذي لم يتمكن من دفع رواتب حراسه الشخصيين منذ أربعة أشهر . ينظر : وثائق أرشيف الدولة المركزي للأسطول البحري العربي الروسي ، من تقرير قائد الطراد الخفيف بويارين ، المقدم البحري ساريتشيف بصدد زيارة موانئ الخليج العربي ، ملف رقم ٤١٧، اضبارة رقم ٦١٣ ، المصدر السابق ، ص ، ١٤٦، ١٤٨.

⁴⁰ - J. G . Lorimer , op.cit, Vol .I .Part . II .p. 2635.

⁴¹ - Ibid .

المصادر

الكتب الوثائقية الأجنبية :

1- Administration Report on the P. Gulf Political Residency and Maskat Political Agency For the Year 1903 – 1904.Calcutta 1904.

2- Andrew , w. p . Euphrates

Valley Route to India , London 1882

3- Curzon , G . N. Persia and the Persian

Question Vol .II . London 1892.

4- _____ Russia in The Central Asia in 1889 and the Anglo – Russian Question, London 1967 .

5- Lorimer , J . G . Gazetteer of the P. Gulf , Oman and Central Arabia Historical , VOl. I. Part I , Calcutta 1915.

- 6- _____ Gazetteer of the P. Gulf , Oman and Central Arabia Historical , Vol. I. Part II , Calcutta 1915.
باللغة الفرنسية .
7- Notes Et Etudes Documentaries , No.1499 premiere partie , 5 juillet , Paris 1951
8- Record of the Emirates Primary Documents , Vol . 5 . (1892 – 1909) Edited py : Pen dope Tuson , British Library Cataloguing in Publication Data Archive Editions 1990 .
9- Sumner, B . H . A Short History of Russia . New York 1949 .
10- Sykes . P . A History of Persia .Vol .II. , London 1951 .

الوثائق الروسية باللغة العربية :

- ١- وثائق أرشيف الدولة المركزي للأسطول البحري الحربي الروسي ، أمر رئيس الأركان البحرية العامة الفريق البحري أفيلان إلى قائد الطراد الثقيل فارياغ بشأن زيارة موانئ الخليج العربي ، بتاريخ ٢٢ أيلول ١٩٠١ ، رقم ٣٠٨٥ ، الملف رقم ٤١٧ ، القائمة ١ ، الاضبارة رقم ٢٤٣٦ . ي . ريزفان ، سفن روسية في الخليج ١٨٩٩ – ١٩٠٣ ، ترجمة سليم توما ، موسكو ١٩٩٠ .
٢- وثائق أرشيف الدولة المركزي للأسطول البحري الحربي الروسي ، من تقرير قائد الطراد الخفيف بويارين ، المقدم البحري ساريتسشيف بصدد زيارة موانئ الخليج العربي ، ملف رقم ٤١٧ ، اضبارة رقم ٦١٣ ، ي . ريزفان ، سفن روسية في الخليج ١٨٩٩ – ١٩٠٣ ، ترجمة سليم توما ، موسكو ١٩٩٠ .

الكتب باللغة العربية :

- ١- زكي صالح ، مجمل تاريخ العراق الدولي في العهد العثماني ، جامعة الدول العربية ١٩٦٦ .
٢- عبد العزيز عبد الغني إبراهيم ، حكومة الهند البريطانية والإدارة في الخليج العربي دراسة وثائقية ، ط ١ ، الرياض ١٩٨١ .